بلاغة التعريف
(عند عبدالقاهر والسكاكي والقزويني وبعض المعاصرين)

د. إبراهيم بن منصور التركي
قسم الأدب والبلاغة والنقد
كلية العلوم العربية والاجتماعية بجامعة القصيم

ملخص البحث :

تسعى هذه الدراسة إلى النظر في بلاغة التعريف، من خلال تتبع ما كتبه علماء البلاغة الأوائل (عبدالقاهر والسكاكي والقزويني)، ورصد أهم المعاني والأغراض البلاغية التي يفيدها التعريف. وقد حاولت هذه الدراسة أن تنظر إلى الدراسة البلاغية الأصيلة للتعريف كما هي عند علماء البلاغة الأوائل، وأن تبحث عن بعض الإضافات التي تظهر هنا أو هناك في بعض الدراسات المعاصرة بلاغية كانت أو أسلوبية أو نقدية أو لسانية. وقد جاء البحث في قسمين، كان الأول منهما مخصصاً للحديث عن أنواع المعرفة وأسماء المعارف. وجاء القسم الثاني مخصصاً للحديث عن بلاغة كل معرفة على حدة، فنظر إلى بلاغة التعريف بالضمائر وعرض أهم الاستعمالات البلاغية التي تكلم عنها علماء البلاغة في التعريف بالضمير. ثم انتقل الحديث إلى التعريف بالأعلام وعرض إلى ما كتبه علماء البلاغة الأوائل، وما أضافته بعض الدراسات المعاصرة إلى بلاغة هذا الأسلوب. تلا ذلك الحديث عن بلاغة التعريف بالأسماء الموصولة وأثرها في المعنى والمبنى. ثم كانت وقفة مع التعريف بأسماء الإشارة وعرض لأبرز المعاني البلاغية التي يفيدها هذا الأسلوب. جاء عقب ذلك الحديث عن لام التعريف والدلالات البلاغية التي تضيفها إلى السياق. وأخيراً تم الوقوف عند التعريف بالإضافة وعرض آراء العلماء في بلاغة هذا الأسلوب.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

لقد بحث البلاغيون العرب في بعض الدواعي التي تدعو المتكلم البليغ إلى اختيار التعريف أو التنكير في كلامه، فاللجوء إلى التعريف أو التنكير في رأي البلاغيين لا ينفكّ عن دواعٍ دفعت إلى هذا الاختيار. وهذه الدراسة تسعى إلى الوقوف مع أحد هذين الأسلوبين، ألا وهو أسلوب التعريف، للنظر في المعاني والاستعمالات البلاغية التي يتضمنها أو يخرج إليها الكلام البليغ عند استعمال المعرفة.

وقد قسمت هذه الدراسة قسمين، جاء الأول منهما مدخلاً قصيراً تناولت فيه تعريف المعرفة، وأسماء المعارف، وأقسامها من حيث التركيب والدلالة، معتمداً في هذا القسم على كتب الدراسة النحوية واللسانية. وجاء القسم الثاني ليتناول المعاني والاستعمالات البلاغية لكل معرفة على حدة (باستثناء النكرة المقصودة التي لم يتكلم عن بلاغتها أحد من البلاغيين الذين أدرسهم هنا). ثم ختمت البحث بخاتمة تتضمن أبرز النتائج التي توصلت إليها.

هذا الموضوع الذي أنوي في هذه الصفحات دراسة بلاغته راعيت فيه ما يلي :

- حرصت كثيراً على ذكر المعاني البلاغية التي وردت في كتب علماء البلاغة القدامى، وركزت في ذلك على عَلَمي البلاغة الكبيرين: أبي يعقوب السكاكي والخطيب القزويني، واستعنت بكلام عبدالقاهر في المواضع التي وجدت له فيها كلاماً حول ذلك مع ربطه بكلام السكاكي والقزويني ما أمكن.
- استعنت ببعض المؤلفات المعاصرة؛ لشرح كلام البلاغيين القدامى،

أو لإضافة بعض الاستعمالات البلاغية للمعارف مما لم أجده عند البلاغيين القدامى، سواء أكانت تلك الكتب المعاصرة كتباً في البلاغة، أم بعض كتب الدراسات الأسلوبية، أو بعض الدراسات النقدية المعاصرة.

- حاولت أن أقدم -ما أمكنني ذلك- عند الحديث عن المعرفة المعاني والاستعمالات الأصلية التي ترد فيها هذه المعرفة، ثم أعقب ذلك بالمعاني والاستعمالات البلاغية التي تفيدها تلك المعرفة.
- اعتمدت كثيراً على شواهد الشعر العربي الأصيل التي استشهد بها البلاغيون، ولم أفضل الاعتماد على غيرها إلا في تلك الحالات التي لم أجد فيها شواهد للظاهرة التي أتحدث عنها في كتب البلاغيين، فإني أعتمد على شواهد من الشعر العربي المعاصر.

أولاً: أنواع (المعرفة) وأقسامها:

(التعريف) عند أهل اللغة يقابله (التنكير)، و(المعرفة) عند النحاة هي: (اسم يدلّ على واحد معين)[1]، في حين أن (النكرة) هو (اسم يدل على شيء واحد غير معين)[2]. فكلمة (رجل) -على سبيل المثال- لا تتعين في الدلالة على فرد بعينه، بل هي صالحة لأن تدلّ على أي رجل كان، فلذلك هي نكرة. أما كلمة (زيد) فهي تدل على شخصٍ معيّن يطلق عليه هذا الاسم، ولذلك فهي معرفة[3].

والمعارف -كما يرى بعض النحاة- سبعة، هي: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والمعرّف بأل، والعلم، والمضاف إلى واحد مما

---

(١) النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، بمصر، ط ٥، ١/ ٢٠٨، و انظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد النجار، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، ١/ ٩٥.

(٢) السابق ١/ ٢٠٩، وانظر: ضياء السالك على أوضح المسالك ١/ ٩٦.

(٣) انظر: ضياء السالك على أوضح المسالك ١/ ٩٥ والنحو الوافي، ١/ ٢٠٨.

سبق، والنكرة المقصودة [1]. هذه المعارف يمكن أن تصنّف إلى مجموعتين منفصلتين، إما بالنظر إليها من حيث التركيب، أو من حيث الدلالة.

فمن حيث التركيب يمكن أن تقسم المعارف قسمين[2]:

١ - **ما يتعرّف بنفسه**: وهو ما يمكن أن يتعرف بالنظر إلى مسماه وهو العلم، أو ما هو متعرف بالوضع كالضمير واسم الإشارة والاسم الموصول، فالمعرفة هنا من حيث التركيب تمثّل لفظاً واحداً يدل على التعريف.

٢ - **ما يتعرف بقرينة زائدة عليه**: سواء أكانت هذه القرينة متقدمة كالمعرّف بأل، أو كانت متأخرة عنه كما في المضاف، والمعرفة هنا تكتسب التعريف من خلال تركيب اللفظ مع غيره لتتكون المعرفة.

ومن حيث الدلالة على التعريف فإن المعارف يمكن أن تقسم قسمين[3]:

الأول: ذات التعريف الدائم:

هذه المعارف تتميز عن غيرها بأنها تحمل معنى التعريف دائماً. وهي: أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والضمائر. وهذا النمط من الكلمات لا يمكن أن يتحول من التنكير إلى التعريف أو العكس، بل هو معرفة بشكل أساسي منذ

---

(١) انظر: شرح الكافية الشافية، ابن مالك، تحقيق: عبدالمنعم أحمد هريدي مطبوعات البحث العلمي والتراث الإسلامي – جامعة أم القرى – ط١، ١٤٠٢ ١٩٨٢، ١/ ٢٢٣، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د.حسن هنداوي، دار القلم دمشق ط١، ١٤١٩- ١٩٩٨، ٢/ ١١٠ وأوضح المسالك ١/٩٦، ٩٧، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي تحقيق: د.عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ، ١/ ١٩٠.

(٢) ينظر: التعريف والتنكير في النحو العربي، د.أحمد عفيفي، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٢٥، ٢٦.

(٣) انظر: التعريف والتنكير في النحو العربي، د.أحمد عفيفي، ص ٤٨ وما بعدها.

وضعه في اللغة.

الثاني: ذات التعريف العارض:

وهي المعارف التي لا تحمل المعنى الأصلي للتعريف، ولكنها تتعرف بفعل عوامل معينة تسهم في تغيير دلالتها من التنكير إلى التعريف، مثل الأعلام المنقولة، والمعرّف باللام، والمضاف إلى معرفة.

وقد أشار إلى شيء من هذا المستشرق غراتشيا غوباتشان، حيث ذهب إلى انقسام أدوات التعريف إلى صنفين: صنف تتمتع أدواته بمعنى أصلي للتعريف، و(صنف آخر للأسماء يمكن أن تحمل معنى التعريف، ولكن هذا المعنى لا يعتبر بالنسبة لها عنصراً حتمياً في معناها؛ لأنها يمكن أن تؤدي في اللغة أيضاً وظيفة وحدة تتمتع بمعنى النكرة، كما يعتبر أيضاً أن هذا الصنف تتصف بمعنى النكرة في صيغها الأصلية)[1].

من هنا يمكن القول بأن المعارف ذات التعريف العارض تدل الكلمة على المعنى المراد بها بذاتها، وتحمل المعرفة فيه معنى خارجياً يتضح في الغالب بغض النظر عن الظروف والقرائن الخارجية التي قيل فيها الكلام، وهو ما يظهر في العلم والمعرف بأل وبالإضافة.

في حين أن المعارف دائمة التعريف لا تدل على معناها إلا بمعونة القرائن والظروف الخارجية، فلا بد من الأخذ بعين الاعتبار الظروف التي يروي فيها المتكلم الخبر[2]. ذلك أن هذه المعارف (الضمائر، والأسماء الموصولة، وأسماء

---

(١) نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي، غراتشيا غابوتشان، ترجمة: د.جعفر دك الباب، مطابع مؤسسة الوحدة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٥٠، ٥١.

(٢) انظر: اللسانية التوليدية والتحويلية، د.عادل فاخوري، دار الطليعة بيروت، ط٢، ١٩٨٨م، ص ٨٣، ٨٤.

الإشارة) تحمل في دلالتها شيئاً من الإبهام والإطلاق، إذ لا تحيل فيها الكلمة إلى المراد بذاتها، وإنما بمعونة القرائن السياقية، فالضمير واسم الإشارة والاسم الموصول لا يمكن أن يتحدد المراد بها إلا بمعونة سياق الحال أو السياق اللغوي.

ففي قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[1]، يأتي الضمير (الهاء) مراداً به آدم عليه السلام، وقد دل على ذلك السياق اللغوي، فتقدّم اسم آدم قبل الضمير جعل الضمير يعود إليه، وإلا فالضمير بذاته لا يمكنه أن يتعين للدلالة على هذا المعنى. وفي قول الشاعر:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأتَه والبيت يعرفُه والحلّ والحرمُ[2]

يتحدد المراد باسم الإشارة (هذا) عبر سياق الحال، فإشارة الشاعر إلى الممدوح هي التي جعلت اسم الإشارة يدل على ذلك الشخص المعين.

ثانياً: بلاغة التعريف:

تحدث الإمام عبدالقاهر عن بلاغة التعريف في أثناء شرحه فكرة النظم، لكنه لم يعرض لجميع المعارف، وإنما ذكر بعضها ليدعم بها فكرته، حيث تكلم صراحة عن التعريف باللام، والتعريف بالاسم الموصول، وعرّج عَرَضاً على التعريف بضمير الشأن عند حديثه عن بلاغة التقديم، وفي حديثه عن مواضع استعمال (إن) ولطائفها، واستحسن التعريف بالإضافة والإشارة في بعض المواضع، وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً في مواضعه.

وأما السكاكي - وتبعه القزويني- فقد جاء حديثهما عن بلاغة التعريف في

---

(١) سورة طه / ١٢١

(٢) ديوان الفرزدق، تقديم: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ٢٣٨/٢.

أثناء حديثهما عن أحوال المسند إليه، وأحوال المسند. حيث تناولا بلاغة التعريف واقفين عند كل معرفة بقليل من التفصيل في مبحث أحوال المسند إليه، وقدماه بشكل مختصر في مبحث أحوال المسند لئلا يقعا في التكرار.

هذه الرؤى التي أشار فيها البلاغيون السابقون إلى بلاغة التعريف، مضافاً إليها بعض رؤى الدراسات المعاصرة ستكون حديث السطور التالية.

١ - الضمائر :

إن أبرز اختلاف بين النظرة النحوية الشائعة والنظرة اللسانية إلى الضمائر يتركز فيما يتناوله مصطلح (الضمير). فالبلاغيون المتأخرون يعتمدون في تحديد الضمير على الرؤية النحوية التي تقسّم الضمائر ثلاثة أقسام، هي: ضمائر التكلم، وضمائر الخطاب، وضمائر الغيبة.

في حين ترى الدراسات اللسانية المعاصرة أن الضمائر ثلاثة، وهي: ضمائر الأشخاص، وضمائر الإشارة، والضمائر الموصولة. فهنا يضيف اللسانيون أسماء الإشارة والأسماء الموصولة لتكون داخلة تحت الضمائر، بالإضافة إلى ضمائر الأشخاص وهي الضمائر المعروفة عند النحاة القدامى (ضمائر التكلم والخطاب والغيبة).

ويرجع السبب في إدراجها جميعاً تحت اسم الضمائر للإبهام والإطلاق الذي تتفق فيه هذه المعارف الثلاث، لهذا كانت دعوة بعض علماء اللغة المعاصرين إلى تسميتها جميعاً باسم (الضمائر) [1]. ويذهبون إلى أن أحد أهم الوظائف اللسانية

(١) انظر: البيان في روائع القرآن، د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٠هـ، ط، ١/١٣٧. ومن أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م، ط٧، ص٢٩٠.

التي تؤديها هذه الصيغ هي الاستعاضة بها عن تكرار الأسماء الظاهرة [1].

ونظراً لأن الخلاف بين الرأيين يبدو لفظياً إذ يقتصر على التسمية فقط، دون أن تكون هناك فروق جوهرية، فسيتم هنا اتباع الرأي النحوي الشائع من إطلاق (الضمائر) على ضمائر التكلم والغيبة والخطاب، وسيتم إفراد (اسم الإشارة) و(التعريف بالموصول) بكلام مستقل يأتي لاحقاً.

وفي دراسة البلاغيين المتأخرين لهذه الضمائر يبرز في البداية حديثهم عن مواقع استعمال هذه الضمائر، متى تأتي للمتكلم؟ ومتى تأتي للخطاب؟ ومتى تأتي للغيبة؟. وفي هذا يقول القزويني بأن التعريف إذا (كان بالإضمار، فإما لأن المقام مقام التكلم...، وإما لأن المقام مقام الخطاب...، وإما لأن المقام مقام الغيبة) [2].

هذا الحديث قد أثار حفيظة أحد الأسلوبيين المعاصرين، حيث يذهب إلى أن حديث البلاغيين هذا لا يعدو كونه وصفاً لمواقع الاستعمال الحقيقية لتلك الضمائر، وفي هذا يشير إلى أن (متابعة البلاغيين لسياق التعريف بالإضمار قد اقتصرت على ما حتمته المواضعة من الدلالة على التكلم أو الخطاب أو الغيبة، حيث أفادوا منها ربط السياق بها دون أن يوجهوا نظرهم إلى التعامل مع الضمير مطلقاً، إذ هو بجانب ما يقدمه من دلالات وضعية، له إضافات سطحية لها أهميتها البالغة) [3].

والحق أن حديث البلاغيين المتأخرين عن أسلوب التعريف بالضمير لم يكن ينظر إلى مواقع الاستعمال الأصلية للضمير فحسب -كما وهم ذلك الباحث- ، بل هو ينظر في بعض الأحيان إلى أن مخالفة ذلك الأصل هي سبب مهم لحدوث

---

(١) انظر: البيان في روائع القرآن، د.تمام حسان، ١/ ١٣٧. من أسرار اللغة، د.إبراهيم أنيس، ص ٢٩٠.

(٢) الإيضاح (مع البغية) ١/ ٨٢، ٨٣. انظر: مفتاح العلوم، ص ١٧٩، ١٨٠.

(٣) البلاغة العربية قراءة أخرى، د.محمد عبدالمطلب، ص ٢٢٩.

الجمال البلاغي، وهذا هو ما ستوضحه السطور القادمة من خلال نقل أقوال بعض البلاغيين المتأخرين أنفسهم.

إنّ في حديث البلاغيين المتأخرين إشارة واضحة إلى أن للضمير أصولاً يفترض مراعاتها عند استخدامه، وأن مخالفة أيٍّ من هذه الأصول لا ينفك عن قيمة بلاغية. هذا الأمر تكشف عنه الاستعمالات البلاغية التالية :

١- وضع المضمر موضع المظهر، حيث يظهر في حديث البلاغيين العرب عن ضمائر الغيبة، إدراك بأن مرجع تلك الضمائر يجب أن يكون قد تقدم ذكره على ذكر الضمير، وذلك عند إشارتهم إلى أن الضمير قد يرد في الكلام دون أن يكون ثمة عائد يرجع إليه الضمير، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [١]، وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ [٢]، وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [٣]، فالضمائر هنا ترد في صدر الكلام دون أن تعود على متقدم، ويرجع علماء البلاغة سر هذه المخالفة إلى تحفيز السامع على تحري مضمون الجملة والإصغاء إلى مضمونها -كما يرى الإمام عبدالقاهر-، ذلك (أنه ليس إعلامك الشيء بغتة غفلاً مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له... ومن ههنا قالوا: إن الشيء إذا أُضمر ثم فُسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار. ويدل على صحة ما قالوه أنا نعلم ضرورة في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [٤] فخامة وروعة وشرفاً، لا نجد منها شيئاً في قولنا: فإن الأبصار لاتعمى، وكذلك السبيل أبداً في كل ضمير قصة، فقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

(١) سورة الحج، ٤٦.

(٢) سورة يوسف، ٩٠.

(٣) سورة الإخلاص، ١.

(٤) سورة الحج، ٤٦.

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1] يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين ما لو قيل: إن الكافرين لا يفلحون لم يُستفد ذلك، ولم يكن كذلك إلا لأنك تُعلِمه إياه من بعد تقدمة وتنبيه، أتت به في حكم من بدأ ووطد، ثم بنى ولوّح وصرح، ولا يخفى مكان المزية فيما طريقه هذا الطريق)[2].

وهو ما يشرحه القزويني بقوله إن السامع (متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظراً عقبى الكلام كيف تكون، فيتمكن منه المسموع فضل تمكن)[3]. وهذا يعني أن (الضمير حين يطرق النفس من غير أن يكون له عائد يعود عليه يصيرها إلى حالة من الغموض والإبهام... فتستشرف إلى اكتشاف الحقيقة المتوارية وراء الغموض المثير، فإذا جاءت الجملة المفسرة تمكن معناه ووقع في القلب موقع القبول)[4].

٢- مخاطبة غير المعين، فإن الأصل في ضمائر الخطاب أن يُقصَد بها المعيّن، ولكنها قد تخالف هذا الأصل عندما يُخاطب بها غير المعين، وذلك عندما ترد في الكلام دون أن يكون ثمة معين يرجع إليه الضمير.

إن مخاطبة غير المعين كثير جداً في الكلام البليغ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[5]. ويرى القزويني أن هذا الأسلوب (أُخرِج في صورة الخطاب لما أريد العموم، للقصد إلى تفظيع حالهم، وأنها تناهت

---

(١) سورة المؤمنون، ١١٧.

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٣٢، ١٣٣، وانظر كذلك ص ٣١٧ من الدلائل.

(٣) الإيضاح ص ٧٠، وينظر: مفتاح العلوم ص ١٩٨.

(٤) خصائص التراكيب، د.محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة، ط٤، ١٤١٦هـ، ص ٢٤٦.

(٥) سورة السجدة، ١٢.

في الظهور حتى امتنع خفاؤها، فلا تختص بها رؤية راءٍ ، بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل في هذا الخطاب)[1].

وهذا يعني أن غرض خطاب غير المعين هنا هو إشهار أمر تلك الفئة، وإشاعة خبرها على الجميع، فهي تتحدث عن المجرمين يوم القيامة، وما يعلو رؤوسهم من الذلة والهوان، فجاءت صيغة الخطاب (ترى) لا تخص أحداً بعينه، وإنما تعم جميع العقلاء لإشهار أمر تلك الفئة، وإبلاغه إلى كل مخاطب عاقل، ليتعظ بهم فلا يكون مصيره مصيرهم.

ومثل هذا الاستعمال يأتي كذلك فيما يمثل حكمة عامة صالحة لأن تقال لكل أحد، فيأتي ضمير الخطاب ليبث هذه الحكمة إلى كل العقلاء الذين يستمعون القول فيعونه، ويدركون فيهمونه. كما في قول الشاعر:

إذا غامرتَ في شرفٍ مرومٍ فلا تقنع بما دونَ النجومِ[2]

٣- خطاب الذات، فواضح إدراك البلاغيين المتأخرين بأن الأصل في ضمائر الخطاب أن يقصد بها غير الذات وليس الذات، ولكن قد تأتي هذه الضمائر في خطاب الذات، كما هو الحال في أسلوب التجريد، حيث يجرد الشاعر من نفسه ذاتاً أخرى يتجه إليها بالخطاب والحديث[3]، كما في قول امرئ القيس:

تطاول ليلُكَ بالإثمِدِ ونامَ الخليُّ ولم تَرقُدِ[4]

فقد تحدث السكاكي عن بلاغة استعمال ضمير الخطاب في هذا البيت وسرّ

---

(١) الإيضاح (مع البغية) ١/ ٨٤ ، وينظر: مفتاح العلوم ص ١٨٠.

(٢) ديوان المتنبي مع الشرح المنسوب إلى العكبري ،دار المعرفة ، بيروت، د.ت. ٤/ ١١٩.

(٣) انظر: الإيضاح (مع البغية) ١/ ٣٩ ، وعلوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، ص ٣٣٥ .

(٤) شرح ديوان امرئ القيس ، حجر عاصي ، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص ٤١.

مخاطبة الشاعر نفسه[1]، إن الشاعر هنا يخاطب نفسه عندما فجعه نبأ وفاة ابن عمه، فزلزل النبأ أركانه وهز كيانه، وهو ما جعله يحس تصدعاً حاداً، وانشطاراً عميقاً داخل نفسه، فمضى يجرد من ذاته ذاتاً أخرى يبثها الأحزان، ويشكوها المكروب، ويشاطرها الهموم.

تلك هي أبرز الصور التي تكلم عنها البلاغيون الأوائل في بلاغة استعمال الضمير، وهي تكشف بجلاء عن إدراكهم بعض صور الاستعمال البلاغي للضمائر عند مخالفتها الأصل خلافاً لما طرحه ذلك الباحث قبلاً.

٤- مخاطبة غير الحاضر وغير العاقل، ويمكن أن تضاف هذه الصورة إلى ما ذكره البلاغيون الأوائل ، فإن الأصل أن يكون المخاطب حاضراً مشاهداً، ولكن قد يخاطب غير المشاهد للدلالة على حضوره في قلب المتكلم[2]، كما في قول الشاعر:

وأنتِ فلسطينُ روضُ الندى وأنتِ الحياةُ، وأنتِ الهدى[3]

وفي هذا البيت مخالفة أخرى لأصل آخر من أصول استعمال ضمائر الخطاب، فإن الأصل أن يقصد بالخطاب العقلاء، لأن الذي يسمع الخطاب ويعيه ويدركه هم العقلاء، ولكن في البيت يُخاطِب الشاعرُ غير العاقل، فالشاعر يخاطب فلسطين وهي ليست عاقلاً يعتاد منه سماع الخطاب، لأجل تشخيص فلسطين في صورة الحي الذي يسمع ويعي، وهي تعكس محاولات الشاعر المخلصة في بعث الحياة فوق هذه الأرض المفجوعة، ولذلك خلع عليها صفات الخصوبة والحياة،

(١) لتحليل أطول، انظر: مفتاح العلوم ، ص ٢٠٣ .

(٢) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، د.فضل حسن عباس، دار الفرقان الأردن، ط٣، ١٤١٣هـ، ص ٢٩٩.

(٣) لم أعثر له على قائل، وقد ذكره في (البلاغة فنونها وأفنانها) غير منسوب إلى أحد.

فهي الروض والندى، وهي الحياة والهدى.

٥ - مخالفة العدد، إذ تختلف الضمائر في دلالتها على العدد، فبعضها يستخدم مع الواحد المفرد، وبعضها مع الاثنين، وبعضها مع الجمع. والأصل اللغوي يقتضي تطابق الضمير مع ما يعود عليه، فيعود ضمير المفرد إلى الواحد، وضمائر الاثنين مع الاثنين أو المثنى، وضمائر الجمع مع الجماعة. ومن صور عدم مطابقة الضمير لمرجعه في العدد قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[1]، فإن الأصل أن يطابق الضمير مرجعه فيقال: (يرضوهما)، ولكن الآية جاءت بضمير المفرد لتشير إلى معنى بديع، هو الإشارة إلى أن رضا الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا برضا الله جل وعلا، ورضا الله لا يتم إلا برضا الرسول، فكأنهما رضا واحد وليس اثنين، ولذلك أفرد الضمير ووحّده، (فلما كان إرضاؤهما لا يحصل أحدهما إلا مع الآخر... لذلك وحّد الضمير في قوله: أحق أن يرضوه)[2].

كما تظهر مخالفة العدد في ضمائر التكلم أيضاً، وذلك عند مجيء ضمير الجمع على لسان المتكلم المفرد، ويرى البلاغيون أن غرض ذلك هو إفادة التعظيم، فالمتكلم المعظم نفسه يلجأ إلى ذلك مثلما يقول الأمير أو الوزير: (نحن فلان بن فلان أمرنا بكذا وكذا). وقد جاءت ضمائر الجمع على لسان الحق جل وعلا في مواضع كثيرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[3]، و﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ

(١) سورة التوبة، ٦٢.

(٢) منهاج السنة، ابن تيمية، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ، ٤٩١/٨.

(٣) سورة القدر، ١.

مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ [1]، و﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [2].

ويرى بعض العلماء كابن تيمية أن ضمائر التكلم الصادرة من الله جل وعلا لا تأتي في كل موضع، بل ثمة مواضع تستعمل فيها ضمائر التكلم، ومواضع أخرى يتعين فيها ضمائر الإفراد. فالأفعال التي يأمر بها الله جل وعلا وتباشرها الملائكة تأتي بضمائر التكلم كما في الآيات السابقة، والأفعال التي لا تصرف إلا لله جل وعلا لا تأتي إلا بضمائر الإفراد، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [3]، و ﴿فَإِيَّىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [4]، و﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [5]، فالعبادة والرهبة والتوكل ونحوها لا يجب أن تُصرف إلا لله، ولذلك فهي تأتي مع ضمائر الإفراد.

ويؤكد هذا العالِم رأيه بأن المعنى الواحد قد يُعبّر عنه بضمائر الجمع مرة، وبضمائر الإفراد أخرى، لاختلاف نوع الفعل الذي يصاحبه في كل مرة. فالتعبير عن (قرب الله) جاء في القرآن مع ضمائر الإفراد مرة ومع ضمائر الجمع أخرى. فقد جاءت ضمائر الإفراد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [6]، وجاء بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [7]، (فلما كانت الآية الأولى تتحدث عن إجابة الداعي، وهي من

---

(١) سورة القصص، ٣.

(٢) سورة الفتح، ١.

(٣) سورة البقرة، ٤٠.

(٤) سورة العنكبوت، ٥٦.

(٥) سورة هود، ١٢٣.

(٦) سورة البقرة، ١٨٦.

(٧) سورة ق، ١٦.

الأعمال التي يختصّ بها اللهُ سبحانه، اقترن التعبير عن معنى القرب بصيغ الإفراد التي تدل على اختصاصه بذلك. أما عند الحديث عن قبض الروح والقرب من العبد حال الموت فقد جاء بصيغ الجمع، لأن ذلك عمل تباشره الملائكة المكلفة بذلك)[1].

٦ - مخالفة الجنس، ذلك أن الأصل في الضمائر أن تدل على تذكير أو تأنيث، وقد يعمد الشاعر إلى عدم مطابقة الضمير لمرجعه في التذكير والتأنيث، وهو أسلوب يكثر وروده في الغزل، حيث إن الشاعر الرجل يتغزل بحبيبته المرأة، لكنه يستعمل ضمائر تذكير وليس ضمائر تأنيث. وتشير إحدى الدراسات الأسلوبية المعاصرة إلى احتمال أن هذا كان نهجاً لبعض الشعراء العباسيين، ذلك أن (مرجع هذه الظاهرة ... إلى امتناع الحبيب عن التصريح بهواه صراحة مخافة أن يفتضح أمره)[2]. تلك أبرز المظاهر التي أمكنني رصدها للاستعمالات البلاغية للضمائر.

٢- الأعلام :

تناول البلاغيون المتأخرون أسلوب التعريف بالعلم بصورة موجزة، كان فيها التركيز واضحاً على المعنى المباشر الذي يحمله العلم، ومدى تناسبه مع سياقه النصي. وفي هذا المعنى يتحدث السكاكي فيقول:

(وأما الحالة التي تقتضي كونه علماً فهي: إذا كان المقام مقام إحضار له بعينه في ذهن السامع ابتداء بطريق يخصه، كنحو: زيدٌ صديقٌ لك، وعمرو عدوٌ لك... أو مقام تعظيم والاسم صالح لذلك كما في الكنى والألقاب المحمودة، أو

(١) البحث البلاغي عند ابن تيمية، إبراهيم التركي، نادي القصيم الأدبي، ط١، ١٤٢١هـ، ص ٩٧.

(٢) الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د.فتح الله سليمان، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م، ص ٢٣٧.

إهانة والاسم صالح لذلك كالأسامي المذمومة، أو كناية مثل قوله: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾[1]، أي: يدا جهنمي. أو مقام إيهام أنك تستلذ اسمه العلم، أو تتبرك به أو ما شاكل)[2]. ويرد الحديث عن العلم عند القزويني بصورة مشابهة لما ذكره السكاكي[3].

ويلحظ فيما سبق أن البلاغيين العرب قد أدركوا أن استعمال العلم قد يذكر لأحد غرضين:

١ - لغرض توصيلي، بحيث يذكر العلم لأن الكلام متعلق به، فيتم إحضاره عبر اسم العلم إلى ذهن السامع.

٢ - لغرض فني، وذلك عندما يتم إيثار صورة من صور العلمية دون سواها، فالمتكلم مخير بين الاسم الصريح أو الكنية أو اللقب، فيختار من بينها ما يراه أنسب في التعبير عن غرضه مدحاً أو ذماً أو تلذذاً أو تبركاً...إلخ.

بيد أن هذا الكلام - رغم أهميته- قد ركز على احتفاظ العلم بدلالته الأصلية، وارتباطه بمدلوله المباشر، دون افتراض خروج العلم أحياناً عن هذه الدلالة الأصلية ليكون رمزاً لفكرة أعم وأشمل.

هذا الأمر (أعني خروج العلم عن دلالته الأصلية) قد استوقف بعض اللغويين المعاصرين، كالدكتور إبراهيم أنيس، الذي يشير إلى أن الأعلام قد تختزن بعض المعاني الإيحائية. حيث إن العلم قد يشيع ويصبح وصفاً من أوصاف اللغة، مثل:

---

(١) سورة المسد، ١.

(٢) مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص ١٨٠، ١٨١.

(٣) انظر: الإيضاح (مع البغية) ١/ ٨٤، ٨٥.

(حاتم) بمعنى: كريم، ومثل: (فرعون) بمعنى: ظالم وطاغية، وحينئذ يكون له مفهوم، ويرتبط بمجموعة من الصفات، فإذا اشتهر صاحب العلم شاعت صفاته حتى تنتظم أفراد الجماعة اللغوية، وهنا يمكن أن نتصور أن هذا العلم ينتقل إلى وصف من أوصاف اللغة، متى أطلق دعا إلى ذهن الناس تلك الصفة أو المجموعة من الصفات. وهو ما يعني أن العلم يرتبط في ذهن الجماعات التي يجمعها رباط اجتماعي واحد بصفات معينة تخطر إلى الأذهان كلما تم استعمال هذا العلم[1].

ومن هنا يمكن القول بأن العلم قد يستخدم مراداً به معناه الظاهري المباشر، وقد يتم توظيف العلم بصورة إيحائية دالة لاستثمار الهوامش الدلالية التي يحملها. وقد أشار إلى هذين القسمين أحد الباحثين المعاصرين، حيث يرى تقسيم الأعلام في الكلام إلى قسمين هما: أعلام الإخبار، وأعلام الإيحاء[2]. وفيما يلي بيان الفرق بين هذين القسمين:

١- أعلام الإخبار:

وهي الأعلام التي قلما يتجاوز فيها الاسم دلالته على المسمى، فهي في الجملة تحمل دلالتها الظاهرية المباشرة، وترد لأن الحديث يتعلق بها ويقتضي ذكرها. يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ألا أبلغْ أبا سُفيانَ عنّي فأنت مجوفٌ نخِبٌ هواءُ[3]

ففي هذا البيت يورد الشاعر اسم أبي سفيان، وهو لا يريد من هذا العلم أبعد

(١) انظر: من أسرار اللغة، د.إبراهيم أنيس، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤.

(٢) انظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٦م، ص ٣٨٩.

(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت، عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص٦٠.

من دلالته الظاهرة، وهي دلالته على الصحابي الجليل (أبي سفيان)، عندما كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعلن أبو سفيان إسلامه. فالعلم هنا لم يتجاوز معناه الحقيقي الظاهري المتعارف عليه، وقد اقتضاه سياق الحديث لأن هذه القصيدة جاءت دفاعاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهجاء لأبي سفيان.

بيد أنه لا تخفى أحياناً إمكانية التوظيف الفني لأعلام الإخبار، كما هو في حديث البلاغيين المتأخرين السابق، من أن العلم قد يفيد المدح أو الذم أو التبرك... إلخ، وهو ما يستظهره د.محمد النويهي في البيت التالي، حيث يرد العلم (لوى البنينة) مراداً به معناه الظاهري المباشر لإعطاء الكلام صفة الخبر الصادق المقطوع بصحته. فالشاعر يقول:

وَتَزوَّدَتْ عَيْني غَداةَ لَقِيتُها بِلَوَى البُنَيْنَةِ عِبْرةً لم تُقْلِعِ[1]

حيث يشير د.النويهي إلى الوظيفة التي يؤديها العلم في أداء المعنى بقوله: (تأمل كيف أن (لوى البنينة) وهو اسم المكان الذي كان فيه الوداع يزيد البيت صدقاً وواقعية، لأنه تفصيل جغرافي معين يجسم المنظر، فيزيدنا إقناعاً بأن الشاعر يتحدث عن تجربة مفردة وقعت حقاً، والفن كله يقوم على التفاصيل المجسمة، وهذه طريقته الصحيحة في تثبيت المدركات العقلية المجردة)[2]. إن الشاعر يصف في مقدمته الغزلية وداع الحبيبة، وهي مقدمة تقليدية في الشعر الجاهلي قد لا تكشف عن واقعة حب حقيقية جرت على أرض الواقع، من هنا يسهم تحديد اسم المكان في إشعار المتلقي بحقيقة هذه التجربة المتخيلة وإلباسها ثوب الواقع.

---

(١) البيت للحادرة في المفضليات، دار المعارف، القاهرة، ط٧، د.ت، ص ٤٤.

(٢) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، د.محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١/ ١٧٤.

٢- أعلام الإيحاء:

وهي الأعلام التي تساق لغرض فني إيحائي، حيث يتم إيرادها لتكون دلالة إلى معنى أبعد من دلالتها الظاهرية. كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[1]. ففي هذه الآية يرد اسم المكان (طور سينين) مقسَماً به، يقول ابن تيمية عن ذلك: (أقسم بالأماكن الثلاثة التي أنزل فيها كتبه الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن، وظهر منها موسى وعيسى ومحمد، (فالتين والزيتون) الأرض التي بُعثَ فيها المسيح، وكثيراً ما تسمى الأرض بما ينبت فيها، فيقال خرج فلان إلى الكرْم وإلى الزيتون وإلى الرمان ونحو ذلك، يراد الأرض التي فيها ذلك، فإن الأرض تتناول ذلك فعبّر عنه ببعضها، و(طور سينين) حيث كلم الله موسى، و(هذا البلد الأمين) مكة أم القرى والتي بُعث منها محمد صلى الله عليه وسلم)[2].

إن هذا الكلام يشير إلى أن العلم (طور سيناء) يتم توظيفه فنياً وإيحائياً ليرمز إلى المكان الذي بُعث منه موسى عليه السلام، فلأن العلم يوحي إلى الذهن ببزوغ الرسالة السماوية في ذلك المكان ونزولها إلى نبي الله موسى عليه السلام تم إيراده في هذا الموضع والله أعلم.

ولهذا يعمد بعض الشعراء إلى إيراد بعض الأسماء ذات المكانة الدينية في شعرهم لاستثمار الإيحاء الذي تبعثه تلك الأعلام، ففي قصيدة لشاعر إسلامي يتحدث فيها عن تقاعس المسلمين عن نصرة إخوانهم المستضعفين، يصوغها على

(١) سورة التين، ١- ٣.

(٢) منهاج السنة، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ١٤١٣هـ، ط١، ٢٣٠/٧.

لسان طفل يلقي أسئلته على مسامع والده:

يا وَيْحَنا مَاذا أَصابَ رِجالَنا أَوَ مَا لَنا سَعْدٌ وَلا مِقدادُ [1]

في هذا البيت يرد اسم (سعد) ويراد به الصحابي الجليل (سعد بن معاذ) رضي الله عنه أو (سعد بن عبادة) رضي الله عنه، و(مقداد) هنا هو الصحابي الآخر (المقداد بن عمرو)، وهما بطلان من أبطال الإسلام، والشاعر هنا لا يريدهما لشخصيهما، وإنما ليرمز بهما إلى أبطال الإسلام وبطولاته الأولى، فكأنه يقول: ألا يوجد في الأمة رجال في شجاعة وبسالة أبطال الإسلام الأوائل، كما كان سعد ابن عبادة والمقداد بن عمرو وأبطال الإسلام الأفذاذ.

٣- الأسماء الموصولة:

يعدّ التعريف بالاسم الموصول واحداً من طرق التعريف التي تكثر دقائقها ولطائفها وأسرارها، ويذكر البلاغيون المتأخرون عدداً من الأغراض التي يفيدها هذا الأسلوب، من أشهرها الأغراض التالية التي تتواتر عند جمع كبير من البلاغيين:

١- من هذه الأغراض أن يتم التعريف بالموصول لعدم معرفة الاسم الصريح، وعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة، كقولك: "الذي كان معنا أمس رجل عالم"[2]. وهذا هو الغرض الأصلي الذي يدعو إليه استعمال الاسم الموصول. وقد ذكر هذا الغرض الإمام عبدالقاهر، موضحاً أن الاسم الموصول (الذي) في مثل المثال السابق قد اجتُلِب (إذا كان قد عُرِف رجل

---

(١) عندما يعزف الرصاص، د.عبدالرحمن العشماوي، دار عالم الكتب الرياض، ١٤٠٨هـ، ط١، ص ٦٥.

(٢) انظر: مفتاح العلوم ص ١٨١، والإيضاح (مع البغية) ١/ ٨٦.

بقصة وأمر جرى له، فتخصص بتلك القصة وبذلك الأمر عند السامع، ثم أريد القصد إليه ذُكِر (الذي). تفسير هذا أنك لا تصل (الذي) إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها، وأمر قد عرفه له، نحو أن ترى عنده رجلاً ينشده شعراً فتقول له من غد: "ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس ينشدك الشعر"؟)[1].

٢ - ٣ - أن يكون التعريف لاستهجان التصريح بالاسم، أو لزيادة تقرير غرض الكلام[2]، ويمكن أن يمثَّل لهذين الغرضين بقوله تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[3]. فبدلاً من ذكر الاسم صريحاً يأتي الاسم الموصول لاستهجان التصريح باسم تلك المرأة التي دعت يوسف إلى الفاحشة، أو لزيادة تقرير الغرض الذي يتضمنه الكلام، فقد عدل عن اسمها الصريح لأن هذه الآية تأتي كاشفة عن عفة يوسف عليه السلام وطهارته من الفاحشة، فجاء الاسم الموصول ليكشف عن عفته وبعده عن الفجور، فهو لم يبحث عن الفاحشة أو يذهب إليها برجليه، وإنما هو مجرد خادم في البيت دعته سيدته إلى الإثم.

٤ - يستعمل الاسم الموصول للتفخيم والتهويل[4]، كما في قوله تعالى: ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾[5]. وهذا الغرض يأتي كثيراً مع الاسم الموصول (ما)، أي غشي قوم فرعون موج عظيم هائل عندما دخلوا البحر يتعقبون موسى عليه السلام.

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٠٠.

(٢) انظر: مفتاح العلوم ص ١٨١، والإيضاح (مع البغية) ١/ ٨٦.

(٣) سورة يوسف، ٢٣.

(٤) انظر: الإيضاح (مع البغية) ١/ ٨٦.

(٥) سورة طه، ٧٨.

٥ - وقد يأتي الاسم الموصول لتنبيه المخاطب على خطئه[١]، كقول الشاعر:

إنّ الّذينَ تَرَوْنَهُم إخْوانَكُم يشْفِي غَليلَ صدورِهِم أنْ تُصْرَعُوا [٢]

فالمتكلم هنا يريد أن ينبه المخاطب إلى أمر غفل عنه وعن خطأ وقع فيه، فأولئك الذين يُظهِر المخاطَبون نحوهم مشاعر المودة والإخوة، هم في حقيقتهم أعداء تفرحهم المصيبة التي تحل بالمخاطبين، ولذلك عبّر الشاعر بالاسم الموصول لينبّه المخاطب على الخطأ الذي يقع فيه.

٦ - وقد يتم التعريف بالموصول من أجل الإيماء إلى وجه بناء الخبر[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ﴾[٤]، فالاسم الموصول وصلته: "الذين يستكبرون عن عبادتي" دالّان إلى ما يمكن أن يكون عليه الخبر، فمن يستكبر عن عبادة الله تعالى لن يكون مصيره إلا إلى جهنم والعياذ بالله.

ومن ذلك في الشعر قول الفرزدق:

إنّ الّذي سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا بَيْتاً دعائِمُهُ أعَزُّ وأطوَلُ [٥]

فالشاعر يريد أن يقول في هذا البيت بأن الله مكّن لقبيلته الرفعة والسمو وعلو المنزلة والمكانة، وقد جاء الاسم الموصول وصلته في قوله: "الذي سمك السماء"، ليوحي بمعنى العلو والارتفاع مما جعله يوحي ويشير إلى المعنى الذي يتضمنه

(١) انظر: مفتاح العلوم ص ١٨٢، والإيضاح (مع البغية) ١/ ٨٧.

(٢) البيت لعبدة بن الطبيب، وهو في المفضليات ص ١٤٧.

(٣) انظر: مفتاح العلوم ص ١٨٢، والإيضاح (مع البغية) ١/ ٨٨.

(٤) سورة غافر، ٦٠.

(٥) ديوان الفرزدق ٢/ ٢٠٩.

الخبر، وهو رفعة مكانة القبيلة وسمو منزلتها.

هذه أبرز الأغراض التي يتناولها حديث البلاغيين الأوائل. ويضاف إليها ما يذكره د.محمد أبو موسى أن يأتي التعريف بالاسم الموصول للتنبيه على معنى ذي أهمية خاصة في سياق الكلام[1]، كما في قول الصحابي الجليل كعب بن زهير – رضي الله عنه- معتذراً إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم- :

مهلاً هَداكَ الّذِي أَعْطاكَ نافلة الـ قرآن فيها مواعِيظٌ وتَفْصيلُ[2]

فصلة الموصول تأتي للتنبيه على معنى ذي أهمية خاصة يتعلق بغرض النص، ذلك أن كعباً رضي الله عنه جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه وتوبته عما صدر منه تجاه الرسالة والرسول بعد أن كان كافراً مكذباً، لذلك أتى الاسم الموصول وصلته ليدلان على تصديق كعب وإيمانه برسالته صلى الله عليه وسلم.

والمتأمل لهذا الطرح حول قيمة الاسم الموصول يجدها تركز على دوره الدلالي المعنوي فحسب، من خلال تأمل المعاني الثواني التي يضيفها استعمال الاسم الموصول إلى السياق. في حين أن التعريف بالاسم الموصول يمكن أن يكون له أيضاً أثره البنائي التركيبي الواضح على لغة النص. ويمكن هنا أن يُشار إلى أهم ما يؤثر به الاسم الموصول في بناء الكلام وتركيبه.

١- فعلى مستوى البناء ، يبدو أول ما يفيده الاسم الموصول ما ينقله الإمام عبدالقاهر من وظيفة الربط التي يؤديها الاسم الموصول من تجويزه وصف المعرفة بجملة، (فمن ذلك قولهم: إن (الذي) اجتُلِب ليكون وصلة إلى وصف المعارف

(١) انظر: خصائص التراكيب ، ص ١٩٥.

(٢) ديوان كعب بن زهير، تقديم: أحمد الفاضل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٦٥.

بالجمل... تقول: "مررت بالذي أبوه منطلق" و"بالرجل الذي كان عندنا أمس" فتجدك قد توصلت بـ(الذي) إلى أن أبنت زيداً من غيره بالجملة التي هو قولك: "أبوه منطلق" ولولا (الذي) لم تصل إلى ذلك...)[1].

٢ - ومما يحققه الاسم الموصول في بناء الكلام كذلك، هو التماسك العضوي بين أجزائه. حيث يُشترَط في جملة الصلة أن تتضمن عائداً يعود على الاسم الموصول[2]، ولهذا يتحدث النحاة عن تلك الحالات التي لم يكن فيها الموصول ظاهر الوضوح، فيلجؤون إلى البحث عن تقدير الكلام ليتضح تحقق شرط العائد. هذا الأمر يجعل الاسم الموصول من أسباب التماسك بين أجزاء الكلام، فإن الصلة لا تكون إلا جملة يتم إحكام تماسكها وربطها مع الجمل قبلها بالعائد إلى الاسم الموصول.

٣ - كما أن التعريف بالاسم الموصول يقوم بدورٍ معاكس لما يقوم به الضمير، ذلك أن الضمير يسهم في اختصار الكلام وقِصَره، بينما يؤدي التعريف بالاسم الموصول دوراً في طول الكلام وبسطه، وهو ما يبدو في أن الاسم الموصول وصلته يغنيان عن الاسم الصريح بلفظه الواحد، إلى استعمال الموصول مع جملته، وبذا يمكن أن يعدّ هذا الأسلوب لوناً من أساليب الإطناب، فهو زيادة في الكلام لفائدة.

٤ - ويؤثر الاسم الموصول في الخبرية والإنشائية، من حيث إن جملة الصلة لا تكون إلا جملة خبرية[3].

---

(١) دلائل الإعجاز ص ١٩٩.

(٢) انظر: التعريف والتنكير، د.أحمد عفيفي، ص ٩٥.

(٣) انظر: التعريف والتنكير، د.أحمد عفيفي، ص ٩٥.

٥ - كما يرتبط الاسم الموصول بأسلوب الإظهار في موطن الإضمار في مواضع كثيرة من الكلام، وفي القرآن من ذلك الكثير، بحيث يكون الاسم الظاهر الذي تم العدول إليه بدلاً من الضمير اسماً موصولاً[١]، كما يظهر هذا في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[٢]. فبدلاً من أن يقال: (ثم نقول لهم)، قيل: (ثم نقول للذين أشركوا).

٤ - **أسماء الإشارة:**

في إشارة عابرة يرجع الإمام عبدالقاهر جمال النظم في أحد الأبيات إلى حسن استعمال الإشارة دون أن يشرح وجه ذلك الحسن[٣]. ويبدو كلام السكاكي - ويتابعه والقزويني- أكثر تفصيلاً في الحديث عن التوظيف البلاغي لاسم الإشارة. حيث يتم التوظيف البلاغي في نظرهما لاسم الإشارة عبر استثمار الخواص الدلالية التي يملكها، فاسم الإشارة يأتي في الأصل للدلالة على الحضور العيني، فلا يشار في الأصل إلا إلى ما يحس ويشاهد، وتتأتى المعاني البلاغية في اسم الإشارة عبر استثمار هذه الخاصية أو مخالفتها، كما تشير المعاني البلاغية التالية :

١ - يستعمل اسم الإشارة للدلالة على تميز المشار إليه وتفوقه عبر الإشارة إلى وجوده الحسي. وفي هذا المعنى يرى القزويني أن تعريف الاسم بالإشارة يأتي (لتمييزه أكمل تمييز، لصحة إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة حساً)[٤]،

---

(١) لحديث موسع عن هذه الظاهرة، ينظر: البيان في روائع القرآن ص ١٢٢ وما بعدها.

(٢) سورة الأنعام، ٢٢.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز ص ٩١.

(٤) الإيضاح (مع البغية) ١/ ٩٠.

كقوله:

هذا أبو الصَّقْرِ فرداً في محاسِنِهِ [1]

وقوله:

أولئِكَ قومٌ إن بَنَوْا أحسَنُوا البِنى وإنْ عاهدُوا أوفَوْا وإنْ عقَدُوا شَدُّوا [2]

وقد وهِم من خطّأ القزويني هنا مشيراً إلى أن هذا المعنى هو المعنى الأصلي لاسم الإشارة، وأن لا وجه بلاغياً في هذا الاستعمال[3]. إذ الصواب أن القزويني لا يشير إلى الإشارة المجردة المباشرة كما في قولنا (هذا بيتي) مثلاً، وإنما هو يريد الإشارة التي يُقصَد من ورائها تمييز المشار إليه الحسي بغض النظر عما إذا كان حاضراً أو غير حاضر.

لهذا يمكن أن يقال إن ما ذكره القزويني من أن غرض التعريف بالإشارة يكون لتمييز المشار إليه عبر إحضاره بالإشارة حساً، هو أمر يصلح أن يطبّق على المشار إليه الحسي حاضراً كان أو غائباً مادام أن المقصود هو إظهار تميزه وتفوقه على غيره، وهو ما ينفي أن يكون هذا الغرض هو معنى أصلياً من معاني الإشارة كما وهِم بعضهم.

٢ - كما قد تتمّ الإشارة إلى غير الحاضر للتعريض بعقل المخاطب. وهو ما أشار إليه القزويني في قول الشاعر:

أولئكَ آبائي فَجِئني بمثلِهم إذا ما جمعَتْنا يا جريرُ المجامعُ [4]

---

(١) ديوان ابن الرومي، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم، الرياض، ١٤٢٠هـ، ١٠٩/٣.

(٢) ديوان الحطيئة، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٤١.

(٣) هكذا زعم عبدالمتعال الصعيدي في حاشيته على الإيضاح. انظر: بغية الإيضاح ٩٠/١.

(٤) ديوان الفرزدق ٢/ ٤٢.

فإن التعريف بالإشارة في البيت يأتي (للقصد إلى أن السامع غبيٌّ لا يتميز الشيء عنده إلا بالحسّ)[1] ، لأن الإنسان الذكي الفطِن يمكنه أن يدرك الأمر ويعيه وإن لم يشاهده ويراه، ولكن قليل الفهم والإدراك، كالأطفال مثلاً، لا يمكنه أن يستوعب إلا الأشياء المادية المحسوسة .

٣ - وقد يستعمل اسم الإشارة لبيان منزلة الشيء ومكانته، وذلك من خلال توظيف دلالات البعد والقرب التي يحملها اسم الإشارة. فإن أسماء الإشارة قد تكون للبعيد أو للقريب، ومن خلال السياق يتم التعرف على القيمة البلاغية التي يفيدها التعريف. وقد تفطن الخطيب القزويني إلى هذا، حيث يقول: (وربما جعل القرب ذريعة إلى التحقير، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾[3]، .... وربما جُعِل البعد ذريعة إلى التعظيم، كقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾[4]، ذهاباً إلى بعد درجته. ونحوه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا ﴾[5]، ولذا قالت: ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾[6]، لم تقل: (فهذا) وهو حاضر رفعاً لمنزلته في الحسن، وتمهيداً للعذر في الافتتان به. وقد يجعل إلى التحقير، كما يقال: "ذلك اللعين فعل كذا")[7].

كما أن القرب قد (يجعل ذريعة إلى التعظيم، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ

---

(١) الإيضاح (مع البغية) ١/ ٩١.

(٢) سورة الأنبياء ، ٣٦ .

(٣) سورة العنكبوت ، ٦٤ .

(٤) سورة البقرة ، ١- ٢ .

(٥) سورة الزخرف ، ٧٢ .

(٦) سورة يوسف ، ٣٢ .

(٧) الإيضاح (مع البغية) ١/ ٩٢ .

﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[1]، فينزّل قربُه من ساحة الحضور والخطاب منزلة قرب المسافة)[2]. أو يكون القرب دلالة على قربه من القلب، كما في قول الشاعر:

هذا ابنُ خَيرِ عبادِ اللهِ كلِهم هذا التَقيُّ النقِيُّ الطاهرُ العلَمُ[3]

٤ - كما يأتي اسم الإشارة (للتنبيه – إذا ذُكِر قبل المسند إليه مذكور وعُقّب بأوصاف– على أن ما يرد بعد اسم الإشارة فالمذكور جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف، كقول... ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4]، أفاد اسم الإشارة زيادة الدلالة على المقصود من اختصاص المذكورين قبله باستحقاق الهدى من ربهم والفلاح)[5].

٥ - ويذكر السكاكي والقزويني في موضع آخر بلاغة الإشارة إلى الأمور المعنوية، لإبراز المعنى مجسداً والإشعار بتعاظم ظهوره، كما في قول الشاعر:

تمارضتِ كي أشْجَى وَما بِكِ علةٌ تريدينَ قتْلي ، قدْ ظَفِرتِ بذلكِ[6]

فإن الأصل كان يقضي أن يقول الشاعر: "قد ظفرتِ به"، ولكنه ترك ذلك واستعمل اسم الإشارة، من أجل ادّعاء أن المشار إليه (وهو القتل) قد كمل ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر[7]. فإن الإمامين يفسران وجه الجمال البلاغي إلى قدرة اسم الإشارة هنا على التجسيم، وإبراز الأمر المعنوي المراد بصورة

---

(١) سورة الإسراء، ٩.

(٢) بغية الإيضاح ، عبدالمتعال الصعيدي، ١/ ٩٢ .

(٣) ديوان الفرزدق ٢/ ٢٣٨ .

(٤) سورة لقمان، ٥ .

(٥) الإيضاح (مع البغية) ١/ ٩٢، ٩٣ .

(٦) هذا البيت للشاعر العباسي عبد الصمد بن المعذل، انظر: ديوانه ، دار صادر د.ت. ص ١٠٣. وهو منسوب لابن الدمينة في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق: د.قصي الحسين، منشورات دار الهلال، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٣٤٨/١٧ ، وقد بحثت عنه في ديوان ابن الدمينة ولم أجده هناك.

(٧) انظر: مفتاح العلوم ص ١٩٧، والإيضاح ص ٧٠.

واضحة ظاهرة جلية، بحيث يبدو في صورة الشيء العيني الذي يمكن أن يرى ويشار إليه. تلك أهم المعاني البلاغية التي يفيدها التعريف باسم الإشارة في نظر السكاكي والقزويني تقريباً.

٦ - ويمكن أن يضاف إلى تلك المعاني ما أشار إليه بعض المعاصرين من أن اسم الإشارة قد يشار به إلى الغائب لاستحضاره[١]. فقد يكون الغرض هو استحضار المشار إليه أمام ناظري المخاطب، كما في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾[٢]، فقد أشار إلى الجنة وهي غير مرئية ولا مشهودة للناس، لاستحضار نعيمها أمام ناظريهم، وإبرازه في صورة ما تبصره عيونهم ترغيباً لهم بدخولها والقدوم إليها.

وقد يكون الغرض هو استحضار المشار إليه وإبراز حضوره في وجدان المتكلم، حيث يقول الشاعر المعاصر معتزاً بهويته العربية:

هذا بَعيرِي على الأبْوابِ منتَصِبُ لم تعشُ عينيهِ أضواءُ المطاراتِ
هذي الشُّقوقُ التي تخْتالُ في قَدمي قصائدٌ صاغَها نبْضُ المسافَاتِ[٣]

إن الشاعر هنا يلجأ إلى التعريف باسم الإشارة لتلك الأشياء الخاصة بالعربي القديم، وهي المظاهر التي تمثل خصوصيات العرب القدامى كالبعير وشقوق الأقدام، مع أن استخدامها اندثر في الزمن الحاضر، لكنه أشار إليها للتعبير عن حضورها القيمي والمعنوي في ذاكرة العربي وتفكيره، فهي وإن غابت أعيانها واختفت مادتها إلا أنها حاضرة في وجدانه، تؤكد عمق انتمائه إليها وإلى كل ما

(١) ويذكر هذا عبدالمتعال الصعيدي في شرحه على الإيضاح ١/ ٩٣.

(٢) سورة الرعد، ٣٥.

(٣) تهجيتُ حلماً تهجيت وهماً، ديوان محمد الثبيتي، الدار السعودية للنشر، ط١، ١٤٠٤هـ، ص١٠١، ١٠٢.

يذكره بعروبته وخصوصية هويته.

٧ - كما قد يتم استعمال اسم الإشارة دون أن يكون ثمة مشار إليه، وإنما هو يقوم بالوظيفة التي يؤديها ضمير الشأن، إذ يدل على التأكيد وأهمية الكلام الذي يلي ضمير الشأن أو اسم الإشارة. وهو ما يذكره الدكتور تمام حسان في دراسته اللسانية والأسلوبية للنص القرآني في عدد من الشواهد القرآنية، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ [١]، وقوله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [٢]، (والدليل على ما سبق من أسماء الإشارة يدل على الشأن أنّ ما بعدها يصلح جملة من مبتدأ وخبر، ودليل هذه الصلاحية أنك تستطيع أن تضع (أنّ) الناسخة المفتوحة الهمزة بين كل إشارة وما بعدها، والناسخ إنما يدخل على المبتدأ والخبر) [٣]. وبعد، فإن تلك الاستعمالات والمعاني البلاغية ليست إلا نماذج لما يمكن أن يزخر به هذا الأسلوب من بلاغة وجمال.

٥- لام التعريف :

يرى القزويني بأن تعريف المسند إليه باللام إما (للإشارة إلى معهود بينك وبين مخاطبك، كما إذا قال قائل: جاءني رجل من قبيلة كذا، فتقول: ما فعل الرجل؟... وإما لإرادة نفس الحقيقة، كقولك: الرجل خير من المرأة...) [٤].

إن المتأمل لحديث القزويني السابق عن بلاغة التعريف بهذا الأسلوب يجد حديثه يركز على المعاني الأصلية للتعريف باللام، فالتعريف باللام في نظره قد

---

(١) سورة آل عمران، ١٧٥.

(٢) سورة الأنعام، ١٠٢.

(٣) البيان في روائع القرآن ١/ ٥١٢.

(٤) الإيضاح (مع البغية) ١/ ٩٤.

يأتي للعهد أو الجنس، وهذا القول لا يختلف كثيراً عما يذكره النحاة حول التعريف بهذا الأسلوب. ولم يخرج بعض البلاغيين المعاصرين عن هذين الغرضين في حديثهم عن تعريف المسند إليه باللام[1]، مع العلم بأن التعريف للعهد أو الجنس قد يأتي في المسند أيضاً!. وعلى هذا الطريق سارت دراسة أسلوبية تطبيقية معاصرة، إذ لم تتجاوز كثيراً -إلا فيما ندر- في حديثها عن جماليات التعريف باللام كونهما إما للجنس أو للعهد[2]. وبما أن العهد والجنس هما المعنيان الأصليان اللذان تفيدهما لام التعريف، فإن الدراسة البلاغية لا ينبغي أن تقتصر على هذين المعنيين الأصليين دون تجاوزهما إلى معانٍ بلاغية أخرى.

هذه المعاني البلاغية التي تفيدها لام التعريف يذكرها القزويني وأتباعه من المعاصرين عندما يتحدثون عن تعريف المسند، إذ يذكرون معظم أمثلته مما تم تعريفه باللام، محاولين أن يُبرِزوا دلالات أخرى في جمال هذا الأسلوب. إنهم هنا ينقلون عن عبدالقاهر ما أورده في الدلائل لا على أن يجعلوه من القيم البلاغية للتعريف باللام - كما يدل على ذلك كلام عبدالقاهر في الدلائل[3]- ، ولكن بجعله مبحثاً مستقلاً تحت اسم (تعريف المسند).

ويمكن هنا الإشارة إلى أهم تلك الدلالات البلاغية التي تحدث عنها البلاغيون في هذا الأسلوب. فعبد القاهر الجرجاني -وهو أفضل من تحدث عن بلاغة هذا الأسلوب وتابعه السكاكي والقزويني في هذا- يشيرون إلى عدد من الدلالات

---

(١) انظر: خصائص التراكيب ص ٢١٠ ، ٢١١ مكتبة وهبة القاهرة ط٤ ١٤١٦هـ، وانظر كذلك: البلاغة فنونها وأفنانها ص ٣٢٤ د.فضل حسن عباس دار الفرقان إربد ط ٣، ١٤١٣هـ.

(٢) انظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٣٧٨- ٣٨١ محمد الهادي الطرابلسي.

(٣) يقول عبدالقاهر في ذلك الموضع ما نصه: (واعلم أنك قد تجد الألف واللام في الخبر على معنى الجنس، ثم ترى له في ذلك وجوهاً..) ص ١٧٩ ، وواضح أن المعنى الأصلي -كما يدل كلام عبدالقاهر- وهو الدلالة على الجنس موجود، ولكن قد يصحبه معان بلاغية أخرى.

التي يفيدها التعريف باللام، وهي:

١- القصر والاختصاص:

يشير عبدالقاهر إلى أن التعريف باللام قد يأتي للدلالة على القصر الحقيقي، ذلك (أنك إذا نكّرت الخبر جاز أن تأتي بمبتدأ ثان، على أن تشركه بحرف العطف في المعنى الذي أخبرت به عن الأول، وإذا عرّفت لم يجز ذلك. تفسير هذا أنك تقول: (زيد منطلق وعمرو) تريد: (وعمرو منطلق أيضاً) ولا تقول: (زيد المنطلق وعمرو)، ذلك لأن المعنى مع التعريف على أنك أردت أن تثبت انطلاقاً مخصوصاً قد كان من واحد، فإذا أثبته لزيد لم يصحّ إثباته لعمرو)[1].

إن المعنى الواضح هنا هو أن المتحدث أراد في المثال الثاني عن طريق تعريف الخبر قصر الانطلاق على زيد ونفيه عما عداه. وهذا المعنى ليس خاصاً بتعريف المسند فحسب، بل هو موجود كذلك في تعريف المسند إليه كما في قولنا: (المنطلق زيدٌ)، بجعل (زيد) خبر المبتدأ، فإن تعريف المبتدأ باللام هو الذي حقق معنى القصر، لأنه أسهم في تعريف الطرفين.

٢- التمام والكمال:

يشير عبدالقاهر أيضاً إلى أن التعريف باللام قد يكون للتمام والكمال، وذلك عندما يكون قصدك في القصر المبالغة والادعاء، حيث (تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة، وذلك قولك: (زيد هو الجواد) و(عمرو هو الشجاع)، تريد أنه الكامل، إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجود والشجاعة لم توجد إلا فيه، وذلك لأنك لم تعتد بما كان من غيره، لقصوره عن

(١) دلائل الإعجاز ص ١٧٨ تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٢، ١٤١٠هـ. وينظر: الإيضاح (مع البغية) ١/ ٢٠٥.

أن يبلغ الكمال. فهذا كالأول في امتناع العطف عليه للإشراك، فلو قلت: (زيد هو الجواد وعمرو) كان خلفاً من القول)[1].

٣- التكرار والاعتياد:

كما قد يأتي التعريف باللام للإشارة إلى اعتياد حدوث المعنى المخصوص أكثر من مرة، وذلك عندما يتم تقييد هذا المعنى بشيء يخصصه كأن يقيّد بالحال والوقت. ويستشهد عبدالقاهر لذلك بقول الشاعر:

هُوَ الواهِبُ المِئَةَ المصْطفاةَ إمّا مخاضاً وإمّا عِشاراً[2]

(ألا ترى أن المعنى في بيت الأعشى أنه لا يهب هذه الهبة إلا الممدوح؟ وربما ظن الظان أن اللام في (الواهب المئة المصطفاة) بمنزلتها في نحو (زيد هو المنطلق) من حيث كان القصد إلى هبة مخصوصة، كما كان القصد إلى انطلاق مخصوص. وليس الأمر كذلك لأن القصد ههنا إلى جنس من الهبة، لا إلى هبة مخصوصة بعينها. ويدلك على ذلك أن المعنى على أنه يتكرر منه، وعلى أن يجعله يهب المئة مرة بعد أخرى. وأما المعنى في قولك: (زيد هو المنطلق) فعلى القصد إلى انطلاق كان مرة واحدة، لا إلى جنس من الانطلاق، فالتكرر هنا غير متصوّر)[3].

وقد وهِم القزويني[4] أن مقصد عبدالقاهر هنا هو بأن هذا النوع الأخير لا يختلف عما سبقه إلا أن في الأول قصراً مطلقاً في حين أن الثاني هو قصر مقيد.

---

(١) دلائل الإعجاز ص ١٧٩، ١٨٠.

(٢) البيت منسوب للأعشى في خزانة الأدب للبغدادي، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ٤/٢٥٨.

(٣) دلائل الإعجاز ص ١٨٠، ١٨١.

(٤) انظر: الإيضاح (مع البغية) ١/ ٢٠٧.

وهذا ما لم يرده عبدالقاهر، بل هو أراد أن يشير إلى أن النوع الأخير يفيد تكرر الحدوث واعتياد وقوع المعنى مرة بعد مرة. وتابع القزوينيَّ في هذا الفهم الخاطئ بعضُ المعاصرين[1].

٤ - المعرفة والشهرة :

قد يأتي التعريف باللام للدلالة على المعرفة والشهرة، كما في قول الخنساء:

إذا قبُحَ البُكاءُ على جَميلٍ رَأَيتُ بُكاءَك الحسنَ الجميلا [2]

(فهي لم تُرِد أن ما عدا البكاء عليه ليس بحسن ولا جميل، ولم تُقيّد الحسن بشيء فيتصور أن يقتصر على البكاء، كما قصر الأعشى هبة المئة على الممدوح، ولكنها أرادت أن تُقِرّه في جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذي لا ينكره أحد ولا يشك فيه شاك، ومثله قول حسان:

وإنَّ سنَامَ المجدِ منْ آلِ هاشمٍ بَنُو بنتِ مَخْزُومٍ ووَالِدُكَ العَبدُ [3]

أراد أن يُثبت العبودية ثم يجعله ظاهر الأمر فيها معروفاً بها، ولو قال: (ووالدك عبد) لم يكن قد جعل حاله في العبودية حالة ظاهرة متعارفة)[4]. ففي الموضعين كان غرض التعريف باللام الإشارة إلى شهرة ذلك المعنى ومعرفته، فالحسن في البكاء على ذلك القتيل -كما أرادت الشاعرة أن تقول- أمر مشهور ومعروف لا ينكره ولا يجادل فيه أحد، والعبودية في المهجو أمر، كذلك، مشهور

(١) انظر: د.محمد أبو موسى في خصائص التراكيب ٣٠٦ ، وفضل عباس في البلاغة فنونها وأفنانها ص ٣٢٥ .

(٢) ديوان الخنساء ، دار صادر، بيروت ، ص ١١٩ .

(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت ، عبدالرحمن البرقوقي ، ص ٢١٢ .

(٤) دلائل الإعجاز ص ١٨١ ، ١٨٢ . وانظر: الإيضاح (مع البغية) ١/ ٢٠٥.

ومعروف لدى جميع الناس.

في ختام هذا المبحث أود الإشارة إلى أمرين، أولهما: أني فضلت الاعتماد على عبارات عبدالقاهر لأن من جاءوا بعده لم يزيدوا على ما قاله شيئاً، لا في الشرح ولا في الشواهد[1]. وثانياً: أن تلك الأغراض البلاغية ليست خاصة بتعريف المسند فحسب، بل يمكن أن تتحقق أيضاً في تعريف المسند إليه، وذلك عندما يتم وضع المسند موضع المسند إليه، فبدلاً من أن نقول: (زيد هو الواهب المئة المصطفاة)، نقول: (الواهب المئة المصطفاة هو زيد). مما يعني أنها تشمل أسلوب التعريف باللام سواء أكان التعريف في المسند أم في المسند إليه.

٦- التعريف بالإضافة:

في سياق حديثه عن النظم يرجع عبدالقاهر جمال النظم إلى جمال الإضافة دون أن يقدم تفسيراً أو تعليلاً لوجه الجمال[2]، ويتحدث في موضع آخر عن المعنى الذي تفيده إضافة المصدر إلى فاعله، حيث يقتضي ذلك وجود المصدر بخلاف إضافته إلى مفعوله فإنها لا تفيد ذلك. ويقارن بين قول القائل عن أنامله: (ما حفظها الأشياء من عاداتها)، وقول: (ماحفظ الأشياء من عاداتها) في تعبيرهما عن نفي الحفظ؛ فالأول يفيد وجود الحفظ لإضافته إلى الفاعل، بخلاف الثاني الذي لا يدل على وجود الحفظ لإضافته إلى المفعول؛ (ذلك أنه كان ينبغي أن يقول: (ماحفظ الأشياء من عاداتها) فيضيف المصدر إلى المفعول، فلا يذكر الفاعل، ذاك لأن المعنى على أنه ينفي الحفظ عن أنامله جملة، وأنه يزعم أنه لا

---

(١) انظر على سبيل المثال: القزويني في الإيضاح (مع البغية) ١/ ٢٠٣- ٢٠٨، وخصائص التراكيب ص٣٠٢- ٣١٠، والبلاغة فنونها وأفنانها ص ٣٢١- ٣٢٨.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز ص ١٠٢، ١٠٣.

يكون منها أصلاً، وإضافة الحفظ إلى ضميرها في قوله: (ما حفظها الأشياء) يقتضي أن يكون قد أثبت لها حفظاً. ونظير هذا أنك تقول: (ليس الخروج في مثل هذا الوقت من عادتي)، ولا تقول: (ليس خروجي في مثل هذا الوقت من عادتي)، وكذلك تقول: (ليس ذم الناس من شأني)، ولا تقول: (ليس ذمي الناس من شأني) لأن ذلك يوجب إثبات الذم ووجوده منك)[1].

في حين يشير السكاكي ويتابعه القزويني إلى بعض أغراض التعريف بالإضافة بتفصيل أكبر، حيث تفيد إضافة التعريف[2]:

١ - الاختصار كما في قول الشاعر:

سبقوا هويَّ وأعنفوا لهواهمُ فتخرّموا ولكلّ جنبٍ مصرعُ[3]

٢ - أو لتغني الإضافة عن التفصيل المتعذر، كما في قول الشاعر:

أولاد جفنةَ عندَ قبرِ أبيهمُ قبرِ ابنِ ماويةَ الكريمِ المفضَلِ[4]

٣- أو للتعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ... الآية ﴾[5]. ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾[6]، فإن إضافة الناقة إلى لفظ الجلالة لتشريف المضاف

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٥٥١، ٥٥٢.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم ص ١٨٦ – ١٨٧، والإيضاح (مع البغية) ١/ ١٠٠ – ١٠١.

(٣) المفضليات ص ٤٢١.

(٤) البيت لحسان في الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، د.ت. ١/ ٢٢٤، وشرح ديوان حسان، عبدالرحمن البرقوقي، ص ٣٦٢.

(٥) سورة الإسراء، ١.

(٦) سورة الشمس، ١٣.

وتكريمه، وتعظيم مكانته ومنزلته، حيث إن هذه الإضافة من أجل تعظيم الناقة وتفخيم شأنها، وأنها جاءت من عند الله تعالى فهي آية من آياته.

ولا تزيد بعض الدراسات الأسلوبية المعاصرة على البلاغيين المتأخرين شيئاً غير ما سبق في حديثهم عن هذا الأسلوب، إذ لا يذكر في جمال التعريف بالإضافة إلا هذه الأغراض الثلاثة التي ذكرها السكاكي والقزويني تقريباً[1].

٤ - كما قد تأتي الإضافة للاستعطاف، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى ﴾[2] ينادي هارون أخاه موسى بـ (يا ابن أم) وليس باسمه الصريح، ويعلل بعض المفسرين ذلك بأن موسى قد أخذ برأس أخيه ولحيته يعاتبه ويسائله عما حدث لقومه في سفره من عبادة العجل، وعدم وقوف هارون موقفاً صارماً من هذا الأمر، ولا يجد هارون ما يستعطف به أخاه موسى ويلين شدة موقفه سوى أن يناديه بما يذكره بما بينهما من الرحم والأخوة والقرابة، حتى يرفق به موسى ويقبل عذره، لذلك أضافه إلى الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحدة وذلك أدعى إلى العطف والرحمة[3].

٥ - وقد تأتي الإضافة للتصوير وتجسيد المعنى، إذ الملحوظ في جميع ما سبق من دواعي التعريف بالإضافة إلى أنها اقتصرت على إضافة الشيء إلى ما من حقه إضافته إليه، وهي الصورة الأصلية التي تأتي عليها الإضافة، لكن ثمة صورة أخرى من الإضافة هي أكثر قرباً إلى روح الفن والإبداع، وهي إضافة الشيء إلى

---

(١) انظر على سبيل المثال: البلاغة والأسلوبية، د.محمد عبدالمطلب، ص ٢٦٥، ٢٦٤. والبلاغة العربية (قراءة أخرى)، د.محمد عبدالمطلب، ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) سورة الأعراف، ١٥٠.

(٣) انظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د.محمد أبو موسى، دار الفكر العربي مصر، ص ٢٥٩.

ما ليس من حقه الإضافة إليه. وهو ما تفطنت إليه إحدى الدراسات المعاصرة في حديثها عن أشكال الصورة، حيث أشارت إلى غرض مهم من أغراض الإضافة، ألا وهو التصوير وإبراز المعنى المجرد في صورة محسوسة قابلة للتصور والتخيل. وذلك أن الإضافة هي أحد الأشكال النحوية التي تبنى عليها الاستعارة[1].

حيث يتحقق التصوير عند إضافة الشيء إلى ما ليس له في الحقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾[2]، فأضيف الجناح إلى ما ليس له وهو الذل، فقد أسهمت هذه الإضافة في إبراز الذل في صورة طائر يخفض جناحه تواضعاً وتذللاً، وهو ما يتناسب مع الأمر باللين والتواضع والتذلل في معاملة الوالدين.

وقد جاء مثل هذه الإضافة في قول أبي ذؤيب:

وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارَها ألفيتَ كلّ تميمةٍ لا تنفَعُ[3]

فالشاعر هنا يلجأ إلى إضافة (الأظفار) إلى ضمير المنية، وهنا (لا توجد أي علاقة منطقية بين المضاف والمضاف إليه، وإنما أدّت علاقة الانحراف بينهما إلى خلق كائن جديد ولد من خلال الجمع بين عنصرين ينتميان إلى قطبين مختلفين)[4]. وهنا تأتي الإضافة لتكشف عن الصدمة التي فجعت فؤاد أبي ذؤيب فتجسمت في خياله هذه الصورة المفجعة للمنية التي اخترمت أبناءه الخمسة وحصدتهم واحداً

(١) انظر: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، د.صبحي البستاني، دار الفكر اللبناني بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص ٨٧.

(٢) سورة الإسراء ، ٢٤ .

(٣) المفضليات ص ٤٢٢ .

(٤) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، ص ٨٧.

إثر الآخر، لذلك لم يجد أصدق تعبيراً من تصوير المنية بصورة الوحش الكاسر الذي ينشب مخالبه وأظفاره في فرائسه وضحاياه فلا يتركها إلا صرعى، هذه الصورة المخيفة الموحشة تحققت عبر التعريف بإضافة الأظفار إلى المنية لأداء هذا المعنى.

كما لا تفوت الإشارة إلى أن من الصور البلاغية التي تخالف فيها الإضافة أصل استعمالها في اللغة، تلك الصورة التي يكون فيها المضاف علماً، ذلك أن الأصل يقضي أن المعرفة لا تقبل الإضافة إلى غيرها كما سيأتي.

تلك كانت أشهر صور التعريف، وأبرز المعاني البلاغية التي يفيدها ذلك الأسلوب، ولكن ثم صورة أخيرة ترتبط ببلاغة التعريف لم يشر إليها البلاغيون الأوائل، وقد ذكرها أحد المعاصرين، وهو د.محمد الطرابلسي في دراسته لأسلوب الشاعر أحمد شوقي، ألا وهي:

اجتماع تعريفين في الكلمة:

الأصل أن المعرفة لا تُعرَّف، وإنما التعريف خاص بالنكرات، ويذهب أحد الباحثين إلى مخالفة الأصل في اجتماع تعريفين على الاسم الواحد[1]، وهذا الأمر خاص بالأعلام فقط.

هذه الخصوصية في جواز تعريف العلم يحاول باحث آخر أن يرجَع سببها إلى (ضعف التعريف في العلم، ويتضح ذلك من خلال سلوكه اللغوي داخل الجملة في اللغة العربية أحياناً... (فهو) يسلك سلوك النكرة في حالات كثيرة داخل تراكيب لغوية ليس هناك شك في صحتها، هذه الحالات تدل دون أدنى شك على ضعف

(١) انظر: التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، د.محمود أحمد نحلة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٣٥.

التعريف في العلم)[1].

ويمكن القول بأن هذا الأسلوب (تعريف الكلمة بطريقين) يأتي على صورتين:

١- الصورة الأولى: أن يضاف العلم إلى معرفة مثله:

بحيث يضاف العلم إلى المعرّف باللام أو الضمير أو علم آخر أو اسم إشارة أو اسم موصول. وهي ظاهرة ترد كثيراً وخاصة في الشعر، فقد لحظ باحث معاصر شيوع هذه الظاهرة في شعر أحمد شوقي[2]، كما في قوله:

إلى عَرَفاتِ اللهِ يا خَيرَ زائرٍ عَليكَ سلامُ اللهِ في عَرَفاتِ[3]

فقد أضاف (عرفات) إلى العلم (لفظ الجلالة)، وقوله:

ولَوْ زُلْتَ غُيِّبَ عَمرُو الأمُورِ وأَخْلَى المَنايرَ سَحْبَانُها[4]

فقد أضاف (عمراً) إلى المعرف باللام، وأضاف (سحبان) إلى الضمير.

بيد أنه إذا كان ثمة علة لغوية لتعريف العلم (وهي ضعف تعريفها)، فإن ثمة علة أخرى بلاغية فنية قد تدفع إلى هذا، وهو ما يمكن التماسه من خلال تأمل السياق الذي يرد فيه مثل هذا الأسلوب، ويظهر هذا بتأمل قول الشاعر:

عَلا زَيدُنا يَومَ النَّقا رَأْسَ زَيْدِكُم بِأَبْيضَ مَشْحُوذِ الفِرَارِ يَمَانِ[5]

فالشاعر في البيت السابق قد أضاف (زيداً) إلى ضمير التكلم (نا) مرة، وإلى

---

(١) التعريف والتنكير في النحو العربي، د.أحمد عفيفي، ص ١١٤.

(٢) انظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٣٨٤ – ٣٨٦.

(٣) الشوقيات، بيروت، د.ت. ١/ ٩٨.

(٤) الشوقيات ١/ ٢٦٢.

(٥) البيت لرجل من طيء كما في لسان العرب مادة (ز ي د).

ضمير المخاطبين (كم) مرة أخرى.

فمن الواضح في هذا البيت أن الإضافة لا تأتي لمجرد التعريف فقط، بل لتعميق انتماء (زيد) المنتصر إلى القبيلة التي يفتخر بها الشاعر، وتأكيد انتماء زيد المهزوم للقبيلة الأخرى. وبالتالي فإن هذين الضميرين يأتيان لإبراز التقابل والتفاضل بين قبيلتنا القوية وقبيلتكم الضعيفة، بين بأس أبنائنا وخور أبنائكم، وهو ما لا يظهر لو ذكر مع زيد اسم أبيه، لأن ذلك لن يكشف عن تفوق قبيلة الشاعر على القبيلة الأخرى.

ومن هذا النوع قول شاعر معاصر:

ما بَالُ إخْوتِنا اسْتكانُوا يا أَبِي لا شَامُنا انتَفَضَتْ وَلا بَغْدادُ[1]

فقد أضاف (الشام) إلى ضمير التكلم (نا)، والغرض هنا بيان شدة القطيعة التي أصابت المسلمين فيما بينهم بحيث لا ينصُر قويُّهم الضعيف، فهذه الشام التي لا تنتفض لما أصاب الشاعر هي الشام التي ينتمي إليها وتنتمي إليه، ولذلك أضافها إلى الضمير تجسيداً لعظم التقاعس الذي يحجم فيه المسلمون عن نصرة بعضهم البعض.

٢- الصورة الثانية: أن تدخل (أل) التعريف على العلم: فقد تدخل (أل) على العلم فتكون زائدة، وهي تلك (التي اقترنت بالعلم المرتجل أو المنقول ولا تفارقه بعد اقترانها به أبداً، مثل: السموأل (شاعر جاهلي يهودي)...، اليسع (نبي)، اللات (صنم في العصر الجاهلي)...إلخ)[2]. فإن (أل) فيما سبق ليست

(١) عندما يعزف الرصاص، د.عبدالرحمن العشماوي، دار عالم الكتب الرياض، ١٤٠٨هـ، ط١، ص ٦٥.

(٢) التعريف والتنكير ص ١٣٨، ١٣٩ د.أحمد عفيفي.

للتعريف وإنما هي زائدة، فلا ينطبق عليها أن يكون في الكلمة تعريفان.

إنما المقصود هنا إدخال (أل) التعريف على العلم لا لتكون ملازمةً للاسم وكأنها جزء منه - كما سبق- ، وإنما يؤتى بها مع علم لا يحتاج إليها عادة. وذلك مثل أن يقول مَنْ آذاه شخص اسمه (زيد): (أزعجنا هذا الزيد)!. فالمتكلم هنا قد أضاف (أل) التعريف إلى العلم خلافاً للأصل، وغايته من ذلك الحط من قيمة زيد المذكور ومكانته، فكأن زيداً هذا نكرة خامل لا يُعرَف، مما جعله يحتاج إلى أداة تعريف ترفع عنه ذلك.

تلك هما الصورتان الصحيحتان اللتان وجدتهما لاجتماع تعريفين في الكلمة الواحدة، إذ الواضح أن هذا الأمر خاص بالأعلام فقط. إلا أن د.محمد الطرابلسي أضاف صورة غير الصورتين السابقتين زعم وجودها في شعر أحمد شوقي، وهي مجيء (أل) التعريف مع المعرف بالإضافة[1]. وقد ذكر لهذا النوع عدداً وافراً من الشواهد استخرجها من شعر شوقي، من مثل:

الناعِساتِ الموقِظاتِي لِلهَوى المُغْرِياتِ بِهِ وكنتُ سَلِيتُهُ [2]

ومثل:

والباكِيَاتُكَ حِينَ يَنقَطِعُ البُكا والزَّائِراتُكَ فِي العَزَاءِ النَّائِي [3]

فكما هو واضح أن (الموقظاتي)، و(الباكياتك)، و(الزائراتك) قد بُدِئت بـ (أل) الداخلة على كلمة مضافة إلى معرفة. ولكن الصحيح أن (أل) هنا ليست للتعريف كما ظنّ الطرابلسي وإنما هي (أل) الموصولة - وهو ما ينطبق على

(١) انظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٣٨٦.

(٢) الشوقيات ٢/ ١٥٠.

(٣) الشوقيات ٣/ ٥.

جميع الشواهد التي استشهد بها- ومن هنا لا يمكن أن تُعدّ من قبيل اجتماع تعريفين لعدم وجود معرفة أخرى غير التعريف بالإضافة.

* * *

خاتمة :

بعد هذا التطواف في المعاني البلاغية لأسلوب التعريف، فإن هذه الدراسة يمكن أن تشير إلى أبرز ما خلصت إليه :

- كشفت الدراسة عن تميز الدراسة البلاغية عند العلماء الأوائل (عبدالقاهر والسكاكي والقزويني)، ووضعهم الخطوط الأساسية التي تقوم عليها بلاغة التعريف، ومن ثم فإن الإضافات التي جاءت بها الدراسات المعاصرة لم تكن إلا إضافات جزئية يسيرة.
- أوضح البحث أن (المعرفة) قد تستعمل في معناها الأصلي في بعض المرات، وقد يصحب هذا المعنى الأصلي معنى أو معانٍ بلاغية في مرات ثانية، وقد تخرج المعرفة عن معناها الأصلي لتدل على معنى بلاغي في مرات ثالثة.
- ورد الحديث عن بلاغة أسلوب التعريف عند الإمام عبدالقاهر لكنه لم يتطرق إلى جميع المعارف، وإنما خص التعريف باللام بحديث مفصل ومرّ مروراً سريعاً على التعريف بالموصول، وتطرق للمعارف الأخرى بصورة عابرة وسريعة، ثم خلفه السكاكي الذي فصل الحديث عن كل معرفة على حدة وحاول أن يحدد استعمالاتها الأصلية وبعض استعمالاتها البلاغية وتبعه في هذا الخطيب القزويني.
- كشف البحث عن أن علماء البلاغة الأوائل اكتفوا بدراسة العلم عندما يراد به معناه الأصلي فقط، مع أن العلم قد يستعمل بلاغياً عندما يخرج العلم عن معناه الأصلي، وهو ما لم يرد عند البلاغيين القدامى، ولا يعيبهم ذلك في شيء؛ لأن استعمال العلم في غير معناه الأصلي هو

أسلوب كثر وروده في الشعر المعاصر، ولم يكن له ذاك الحضور اللافت في الشعر العربي القديم.

وأخيراً، فإن ما سبق كان محاولة يسيرة للوقوف على بلاغة هذا الأسلوب (أسلوب التعريف)، بالنظر إلى تعريفه وأقسامه والأغراض البلاغية التي يفيدها، فلعلّ تلك الصفحات استطاعت إعطاء صورة واضحة عن هذا الأسلوب البلاغي، وبالله التوفيق.

* * *

فهرس المصادر والمراجع:

١- **القرآن الكريم** .

٢- **الأسلوبية** ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، د.فتح الله سليمان ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠م.

٣- **الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني** ، تحقيق : د.قصي الحسين ، منشورات دار الهلال ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٤- **الإيضاح** ، الخطيب القزويني ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥- **البحث البلاغي عند ابن تيمية** ، إبراهيم التركي ، نادي القصيم الأدبي ، ط١ ، ١٤٢١هـ.

٦- **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي** ، تحقيق : د.حسن هنداوي ، دار القلم دمشق ط١ ، ١٤١٩- ١٩٩٨.

٧- **بغية الإيضاح** ، عبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمامير ، ١٩٨١م.

٨- **البلاغة العربية (قراءة أخرى)** ، د.محمد عبدالمطلب ، الشركة المصرية الوطنية للنشر ، ١٩٩٧م.

٩- **البلاغة فنونها وأفنانها** ، د.فضل حسن عباس ، دار الفرقان الأردن ، ط٣ ، ١٤١٣هـ ،

١٠- **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري** ، د.محمد أبو موسى ، دار الفكر العربي مصر.

١١- **البلاغة والأسلوبية** ، د.محمد عبدالمطلب ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٤.

١٢- **البيان في روائع القرآن** ، د.تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ ،

١٣- **التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل** ، د.محمود أحمد نحلة ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

١٤- **التعريف والتنكير في النحو العربي** ، د.أحمد عفيفي ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٥- **تهجيتُ حلماً تهجيت وهماً** ، ديوان محمد الثبيتي ، الدار السعودية للنشر ، ط١ ، ١٤٠٤هـ.

١٦- **خزانة الأدب للبغدادي**، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٧- **خصائص الأسلوب في الشوقيات**، محمد الهادي الطرابلسي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٦م.

١٨- **خصائص التراكيب**، د.محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة، ط٤، ١٤١٦هـ.

١٩- **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٢، ١٤١٠هـ.

٢٠- **ديوان ابن الرومي**، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم، الرياض، ١٤٢٠هـ

٢١- **ديوان البارودي**، تحقيق: علي الجارم ومحمد شفيق معروف، ١٣٩١هـ.

٢٢- **ديوان الحطيئة**، دار صادر، بيروت، د.ت.

٢٣- **ديوان الخنساء**، دار صادر، بيروت.

٢٤- **ديوان عبدالصمد بن المعذل**، دار صادر، د.ت.

٢٥- **ديوان الفرزدق**، تقديم: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٦- **ديوان كعب بن زهير**، تقديم: أحمد الفاضل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٧- **ديوان المتنبي مع الشرح المنسوب** للعكبري، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٢٨- **شرح الكافية الشافية**، ابن مالك، تحقيق: عبدالمنعم أحمد هريدي مطبوعات البحث العلمي والتراث الإسلامي – جامعة أم القرى – ط١، ١٤٠٢ ١٩٨٢.

٢٩- **شرح ديوان امرئ القيس**، حجر عاصي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٣٠- **شرح ديوان حسان بن ثابت**، عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٣١- **الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه**، د.محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

٣٢- **الشعر والشعراء**، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

٣٣- **الشوقيات** ، بيروت ، د.ت .

٣٤- **الصورة الشعرية في الكتابة الفنية** ، د.صبحي البستاني، دار الفكر اللبناني بيروت، ط١ ، ١٩٨٦م.

٣٥- **ضياء السالك إلى أوضح المسالك** ، محمد النجار ، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

٣٦- **علوم البلاغة**، أحمد مصطفى المراغي. طبعة دون بيانات.

٣٧- **عندما يعزف الرصاص**، د.عبدالرحمن العشماوي، دار عالم الكتب الرياض، ١٤٠٨هـ، ط١ .

٣٨- **لسان العرب**، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، د.ت .

٣٩- **اللسانية التوليدية والتحويلية**، د.عادل فاخوري، دار الطليعة بيروت، ط٢ ، ١٩٨٨م.

٤٠- **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

٤١- **مفتاح العلوم** ، أبو يعقوب السكاكي، تعليق: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٢- **المفضليات** ، دار المعارف، القاهرة، ط٧، د.ت.

٤٣- **من أسرار اللغة**، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م، ط٧.

٤٤- **منهاج السنة**، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ١٤١٣هـ، ط١.

٤٥- **النحو الوافي** ، عباس حسن، دار المعارف، بمصر، ط ٥.

٤٦- **نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي** ، غراتشيا غابوتشان ، ترجمة: د.جعفر دك الباب ، مطابع مؤسسة الوحدة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٧- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ، السيوطي تحقيق: د.عبدالعال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ

* * *